خواصّ الليـل وقيامـه

جمع وترتيب السيد :

محمد بن علوي العيدروس

الملقب (سعد)

خواص الليل
وقيامه

إعداد وترتيب السيد :
محمد بن علوي العيدروس (سعد)

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله

وليس له ذكـرٌ إذا لم يكن نسلُ

فقلت لهم نسـلي بدائع كتبي

فمن سره نسلُ فإني بذا أسلو

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

كتابٌ قد حوى دررٌ بعين الحسن ملحوظة

لهـذا قـــلت تنبيهاً حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾[1] . والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، أما بعد:

فإن لقيام الليل الذي يسدل ستوره على عباد الله الصالحين لفوائد كثيرة ومنافع عظيمة جسمية وروحية، ولما علم أهل الإخلاص من الأنبياء والصلحاء الأسرار المودعة في هذا الوقت الشريف المبارك تنافسوا في إحيائه وقيامه بأنواع من القرب والطاعات ما بين صلاة ودعاء وذكر وثناء وهكذا يستمطرون من الخالق ، فيض النفحات ومدد رب الأرضين والسموات ، فقد كانوا رحمهم الله تعالى يحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها ، فإذا جنَّهُمُ الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا للمولى أقدامهم وافترشوا له وجوههم وأسالوا مدامعهم من جفونهم على خدودهم وتملقوا بين يديه وألحوا بدعائهم عليه.. حينها يواصلهم برضاه .. ويمدهم بهداه .. ويقذف في أرواحهم وأجسادهم سر توفيقه فإذا أصبحوا انعكست تلك الإشراقات على من يجالسهم

---

(١) سورة الإسراء (آية ٧٩).

فاهتدى بهم وتبصر واستنار فوائده وتنّور فبهؤلاء تنقـذ الأمـم وتـدفع الـشرور والآفات وتعم الخيرات والمسرات. ومن هنا قال أبو سليمان الداراني: لأهل الليل في ليلهم ألذ حالاً من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا.

ولما أدرك الأتقياء عظمة فوائد قيام الليل الروحية قال متحدثاً عنهم علي ابن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر.

وقال الفضيل ابن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم إنك محروم وقد كثرت خطيئتك.

ولنعلم أن القيام لليل مع الإصرار على المحرمات لا ينفع وفي هذا يقول الإمام الغزالي في إحيائه: قال رجل لبعض الحكماء إني لأضعف عن قيام الليل فقال له: يا أخي لا تعص الله تعالى ولا تقم بالليل.

وفي هذا الزمان يسبح الناس في بحر الدنيا ولججها ويغفلون عن قيام الليل وأسراره .. ووقت السحر وأنواره .. وفي الحديث : ((إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه)).

فيا أهل الإسلام أين أنتم من وقت قضاء الحوائج ؟ وهل عرضتم أموركم على ربكم في هذا الوقت ؟ فإنه قد تكفل بأنه سيعطيكم ما تسألونه.

أم أن الغفلة قد أعمت وأصمت فلازلتم تسألون الخلق وتعرضون عن الخالق فإن أردتم معرفة فوائد الليل وإصلاح ما بقي من العمر فاقروا بتمعن هذه السطور وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

قيام الليل :

❖ ومن ذلك القيام (صلاة الليل) وهي صلاة التهجد فيه ، وهذه الصلاة من الآيات : وهي أفضل الصلوات بعد الفرائض وقد واظب عليها الأنبياء والأولياء السابقون ، وروي أن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان لا يدع قيام الليل ، وكان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ الآية . وقال عز من قائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾[1] وهو أيضاً خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال في فتح الرحمن.. الخطاب الخاص بالنبي عليه الصلاة والسلام كـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ ونحوه عامة للأمة إلا بدليل يخصه وهذا قول أحمد والحنفية والمالكية . وأكثر الشافعية على أنه لا يعمهم إلا بدليل أ هـ .

❖ قال بعضهم والفائدة من قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ ...﴾ التنبيه لكل مزمل راقد لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله فيه. لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة . أهـ

(**فإن قلت**) ما معنى التخصيص في قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ الآية ، وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه عليه

---

(١) سورة المزمل (آية ١ - ٢).

الصلاة والسلام؟ (قيل) التخصيص من حيث أن نوافل العبادة كفـارة لذنوبهم والنبي عليه الصلاة والسلام قد غُفِر له ما تقـدم مـن ذنبـه ومـا تأخر . فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فبقى لـه زيـادة في رفـع الدرجات بخلاف الأمة فإن لهم ذنوباً يحتاجون إلى الطاعـات لتكفيرهـا فلا تكون صلاتهم الحقيقة نافلة كذا في التفسير الكبير . أ هـ

وقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ [1]

قيل هي قيام الليل يُستعان بالصبر عليـه عـلى مجاهـدة الـنفس . كـذا في الإحياء .

الأحـاديث :

❖ فمن الأحاديث التي وردت في فضل قيام الليل ما رواه مسلم عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الحرام ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل)) .

❖ وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليـه وسـلم قال ((فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صـدقة الـسر عـلى صـدقة العلانية)).

---

(١) سورة البقرة (آية ٤٥).

❖ أيضاً عن سُمرة رضي الله عنه قال ((أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي من الليل ما قل أو كثر ونجعل آخر ذلك وترا)) .

❖ وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه - أي تتشق وتتورم - فقلت له لم تصنع وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال. أفلا أكون عبداً شكوراً)) .

❖ وروى البيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((يحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة فينادي منادٍ فيقول أين الذين كانوا تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقدمون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب)).

❖ وروى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الأثم)) ورواه الطبراني بزيادة (ومطردة للداء عن الجسد).

❖ وروى أيضاً عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: ((أول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أنجفل الناس إليه - أي أسرعوا إليه - فكنت فيمن جاء فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، قال : فكان أول ما سمعته من كلامه صلى الله عليه وسلم أن قال ((أيها

الناس أفشوا السلام أطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)) .

❖ وروى أيضاً عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال ((جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به واعمل ما شئت فإنك مفارقه . واعلم أن شرف المؤمن قيامه من الليل وعزّه واستغناؤه عن الناس)).

❖ وروى البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل)) أي قوام الليل.

❖ وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ما خيّب الله امرؤً قام في جوف الليل فافتتح سورة البقرة وآل عمران)).

❖ وروى الترمذي عن عمرو ابن عبسه رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى في تلك الساعة فكن)).

❖ وروى أبو داوود عن أبي هريرة وأبيّ بن كعب رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين جميعاً كتبا من الذاكرين والذاكرات)).

❖ وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أحب الصلاة إلى الله صلاة داوود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داوود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، ويصوم يوماً ويفطر يوماً)) متفق عليه .

❖ وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن في الليل لساعة لا يوافقها رجلٌ مسلم يسأل الله تعالى خيراً في أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه وذلك كل ليلة)) رواه مسلم.

❖ وعن عبدالله بن قيس رضي الله عنه قال : قالت عائشة ((لا تَدَعْ قيام الليل فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً)) رواه أبو داوود وصححه ابن خزيمه.

❖ وقال صلى الله عليه وسلم : ((صَلِّ من الليل ولو كحلب شاة)).

❖ وقال صلى الله عليه وسلم: ((من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين)) والقنطار كما في الحديث (اثنتا عشرة ألف أوقية والأوقية خير مما بين السماء والأرض).

❖ وفي حديث: ((إن الله تعالى يباهي ملائكته بالعبد إذا قام يتهجد من الليل في الليلة الباردة ويقول: انظروا إلى عبدي خرج من تحت لحافه وترك الدنيا وامرأته الحسناء يناجي بكلامي أشهدكم أني قد غفرت له)) قاله نافع .

- وفي الحديث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صلاة في مسجدي الحديث. جعل النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل شكراً لمثل هذه النعم الجليلة ثبت أنه أعظم من مائة ألف صلاة في غيره ، ثم قال : ((ألا أدلكم على ما هو أفضل من ذلك. قالوا : نعم . قال رجل قام في سواد الليل فأحسن الوضوء وصلى ركعتين يريد بهما وجه الله تعالى)) .
- وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((عجب ربنا من رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى صلاة فيقول الله لملائكته انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي)).
- وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((ركعتان في جوف الليل يكفران الخطايا)).
- وأخرج ابن نصر عن حسان بن عطية مرسلاً ((ركعتان يركعهما ابن آدم في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم)) كذا في الجامع الصغير.
- وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من صلى بالليل ركعتين فقد بات لله ساجداً وقائماً)).

❖ وعنه عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال ((مـن صـلى في سـواد الليـل ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي عشر مـرات ، فـإذا فرغ قال ((يا حي يا قيوم بك استغيث)) لم ينصرف من صلاته حتى يوكـل الله تعالى الملائكة : يحفظونه من الشر كله)) كذا في إحياء العلوم .

❖ وقال عليه الصلاة والسلام: ((رحم الله رجلاً قام مـن الليـل فـصلى ثـم أيقـظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء. ورحم الله امرأة قامـت مـن الليـل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فإن أبـى نـضحت في وجهـه المـاء)) كـذا في الإحياء.

❖ وقال عليه الصلاة والـسلام: ((عليـك بكثـرة الـسجود فإنـك لا تـسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة)) .

❖ وقال عليه الصلاة والسلام: ((من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يـصلي مـن الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صـدقة عليـه مـن ربه)) كذا في الجامع الصغير .

❖ وقال صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حياً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً قم من الليل فصلِّ وأنت تريد رضـاء ربـك . يـا أبـا هريرة صلّ في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكـب والـنجم عند أهل الدنيا)) .

❖ وقال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: ((لو أردت سفراً عددت له عدّة ، قال نعم ، قال فكيف سفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أبا ذر بها ينفعك ذلك اليوم، قال بلى بأبي أنت وأمي . قال صم يوماً شديد الحر ليوم النشور ، وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ، وحج حجة لعظائم الأمور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حقٍ تقولها أو كلمة شر تسكت عنها)).

❖ ويروى أن جبرائيل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ((نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل)) فأخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل .

❖ وأخرج البخاري عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يعقد الشيطان على قافة رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كلٍّ عليك ليل طويل فارقد . فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقده ، فإن توضأ انحلت عقده فإن صلى انحلت عقده فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)) ، قوله (خبيث النفس) بمعنى فساد الدين والتنفر منه وهو ذم لفاعله و ضعف بعض أفعاله .

❖ وأخرج البخاري عن عبدالله رضي الله عنه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ما زال نائماً حتى أصبح ما قام الصلاة فقال: ((بال الشيطان في أذنه)).

❖ وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل يقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له)).

❖ وأخرج الإمام أحمد والدار قطني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله ينزل كل ليلة جمعة من أول الليل إلى آخره إلى سماء الدنيا وفي سائر الليالي من الثلث الأخير من الليل فيأمر ملكاً ينادي هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفرٍ فأغفر له ، يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشر أقصر)) .

❖ وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ينزل الله في آخر الليل لثلاث ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت. وينظر في الساعة الثانية في جنة عدن ولا يكون فيها إلا الأنبياء والشهداء والصدّيقون وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط آخر الساعة من الليل فيقول ألا مستغفرٍ يستغفرني فأغفر له ، ألا سائل يسألني فأعطيه ، ألا داعٍ يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر)) ، قال الله

تعالى ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾[1] يشهده الله تعالى وملائكته .

(فإن قلت) ما التخصيص بالثلث الأخير الذي رجّحه جماعة على غيره من الروايات المذكورة .

(قلت) لأنه وقت التعرض لنفحات رحمة الله تعالى لأنه زمان عبادة أهل الإخلاص .

- ❖ وروي أن أفضل الدعاء والاستغفار آخر الليل ، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن يعقوب عليه السلام أخر الدعاء لابنه إلى السحر بقوله ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾[2] ، وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار)) .

- ❖ عن أبي سعيد: ((أصدق الرؤيا بالأسحار)) رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن حبان في صحيحه.

---

(١) سورة الإسراء (آية ٧٨).

(٢) سورة يوسف (آية ٩٨).

❖ عن ابن عباس: ((عينان لا تصيبهما النار عين بكت في جوف الليل من خشية الله وعين تحرس في سبيل الله)) رواه الترمذي من كتاب العيوب والبصر.

❖ عن أبي موسى الأشعري : ((إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)) رواه مسلم وابن ماجه.

(الآثار)

❖ كان من أخلاق السلف رضي الله عنهم مواظبتهم على قيام الليل صيفاً وشتاءً ورؤيتهم تأكده عليهم كأنه فرض حتى قالوا: ((كل فقير نام في الليل من غير غلبة فلا يجيء منه شيء في الطريق)) وقد أغفل هذا كثير من الفقراء فينامون في الليل على سُرر كما ينام العامة وأبناء الدنيا ، وبعضهم يدخل كل يوم الحمام فلا يخرج منه حتى تطلع الشمس من غير ضرورة بل ترفها وما أقبح الشيخ وهو ذاهب كل يوم بكرة النهار والعامة والمريدون يرونه .

❖ ولقد كان الشيخ محمد بن عنان من فرسان الليل كان ورده كل ليلة خمسمائة ركعة وهي ورد المهدي عليه السلام.

❖ وكان الشيخ الصالح فرج بناحية (شان شـلمون) بالـشرقية يجـيء لـسيدي محمد هذا ويقول له أهلاً براعي الصهيب لأجل كونه مواظباً على قيام الليـل وكان لا يتهجد ليالي الشتاء إلا فوق السطح رضي الله عنه.

❖ قالت أم سليمان بن داود ((يا بني لا تنم الليل فإن مـن نـام الليـل جـاء يـوم القيامة وهو مفلس من الحسنات ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : ((يا داود كذب من ادّعى محبّتي فإذا جنَّ الليل نام عني)).

❖ وقالت أيضاً أم سليمان بن داوود لسليمان : ((يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الإنسان فقيراً يوم القيامة)) ورواه جابر والنسائي وابـن ماجـه والبيهقي في شعب الإيمان.

❖ وكان عبدالله بن عمر يقوم الليل ثم يقـول يـا نـافع اسـحرنا فيقـول لـه لا ، فيقوم لصلاته ثـم يقـول يـا نـافع اسـحرنا فيقـول نعـم ، فيقعـد فيأخـذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر .

❖ وكان الإمام زين العابدين رضي الله عنه يقول : نام يحيى بن زكريا ليلة عـن ورده وكان قد شبع من خبز الشعير فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى لو اطّلعـت على جنة الفردوس إطلاعه لذاب جسمك ولبكيـت الـصديد بعـد الـدموع وللبست الحديد بعد المسوح .

❖ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما تَمُرُّ عليـه الآيـة في ورده مـن الليـل فيسقط مغشياً عليه حتى يصير يُعاد أياماً كما يعاد المـريض ، وكـان رضي الله عنه لا ينام ليلاً ولا نهاراً أيام خلافته وإنما هي خفقات برأسه وهـو جـالس،

وكان يقول إن نمت بالليل ضيعت نفسي وإن نمت في النهار ضيعت رعيتي وأنا مسئول عنهم.

❖ وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقوم للتهجد إذا هدأت العيون فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح.

❖ وكان سفيان الثوري إذا غفل عن نفسه فأكل كثيراً يقوم الليلة كلها، ويقول : إن الحمار إذا زِيدَ في علفه زيد في تعبه في بقية الأعمال الشاقة.

❖ وكان طاووس رحمه الله يفرش فراشه من العشاء ويصير يتقلب عليه ويئن إلى الصباح ولا ينام ، وكثيراً ما كان يقوم العشاء إلى الفجر شاخصاً وكثيراً ما يمكث جالساً مطرقاً إلى الفجر لا يتكلم ، وكان يقول : إن خوف جهنم أطارت نوم العابدين .

❖ سئل بعض أهل الله عن أهون ما يجده العبد على تسكين الشهوة فقال: الصيام بالنهار والقيام بالليل وحذف الشهوات والتغافل عنها وترك محادثة النفس بذكرها.

❖ وكان السلف الصالح يعرفون وجه من نام عن قيام الليل ، ويقولون : ما رأيناك في الحضرة الإلهية ، وقد حضر فلان وفلان وفُرّقَ عليهم التحف ، وكان يعيب بعضهم على بعض النوم على فراش وُطِئ له ، وكان بعضهم قعد على فراش حين قدم من سفر فنام عن ورده تلك الليلة فحلف أن لا ينام على فراش حتى يموت.

❖ وكان عبد العزيز بن أبي داود يفرش له الفراش فيضع يده عليه ويقول: ما ألينك ولكن فراش الجنة ألين منك، ثم يقوم إلى صلاته فلا يزال يصلي إلى الفجر.

❖ وكان الفضيل بن عياض يقول: إني لأقوم الليل حتى يطلع الفجر فيرجف قلبي وأقول جاء النهار بما فيه من الآفات.

❖ وكان بشر الحافي وأبو حنيفة ويزيد الرقاشي ومالك بن دينار وسفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم يقومون الليل كله على الدوام إلى أن ماتوا ، وقالوا مرة لبشر الحافي ألا تستريح لك في الليل ساعة ؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام حتى تورمت قدماه وقطر منهما الدم مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف أنام أنا ولم أعلم أن الله غفر لي ذنباً واحداً.

❖ وكان الحسن البصري يقول ما ترك أحد قيام الليل إلا بذنب أذنبه تفقدوا نفوسكم كل ليلة عند الغروب وتوبوا إلى ربكم لتقوموا الليل ، وكان كثيراً ما يقول إنما يثقل قيام الليل على من أثقلته الخطايا.

❖ وكان أبو الأحوص يقول : أدركنا العلماء والعباد وهم لا ينامون الليل ، وكنت إذا طفت بدارٍ أو مسجدٍ في الليل سمعت فيه دوياً كدوي النحل ، فما بال أهل زماننا يأمنون مما كان أولئك يخافون منه.

❖ وكان ضلة بن أشيم رضي الله عنه يصف قدميه لصلاة العشاء إلى الفجر ثم يقول: إذا فرغ من صلاته : يا رب أجرني من النار فإن مثلي لا ينبغي سؤال الجنة .

❖ وقال رجل لإبراهيم ابن أدهم إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء؟ فقال لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل فإن وقوفك بين يديه من الليل من أعظم الشرف والعاصي لا يستحق ذلك الشرف .

❖ وكان عتبة الغلام يقول : إذا توضأ من الليل قبل أن ينتصب للصلاة: ((اللهم إني قد حملت نفسي مالا أطيق من المعاصي والقبائح حتى استحققت الخسف والمسخ ودخول النار ، وها أنا أريد أن أقف بين يديك خلف كل عاص على وجه الأرض رجاء أن تغفر لأحدٍ منهم فتصيبني شيء من المغفرة)).

❖ وكان الحسن بن صالح يقوم الليل هو و جاريته فباعها لقوم فلما صلت العشاء افتتحت الصلاة فما زالت تصلي إلى الفجر ، وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة تمضي يا أهل الدار قوموا ، يا أهل الدار صلوا ، قالوا لها نحن لا نقوم إلى الفجر فجاءت إلى الحسن بن صالح وقالت بعتني لقومٍ ينامون الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود نومهم فردها الحسن إليه رحمة بها ووفاء بحقها .

❖ وكانت رابعة العدوية تتوضأ كل ليلة وتتطيب وتقول لزوجها ألك حاجة؟ فإن قال لا . قامت إلى الصباح . وكانت تقول أول الليل إلهي نامت العيون وغارت النجوم وأغلقت ملوك الدنيا أبوابها وبابك لا يغلق فاغفر لي ، ثم تصف قدميها للصلاة وتقول : وعزتك وجلالك هذا موقفي بين يديك إلى الصباح ما عشت.

❖ وكان سفيان الثوري يقول : عليكم بقلة الأكل تملكوا قيام الليل.

❖ وكان ثابت البناني يصلي الليل كله ويقول لأهله قوموا فصلوا ، فإن قيام الليل أهون من مكابدة أهوال يوم القيامة.

❖ وكان أبو الجويرية يقول صحبت الإمام أبا حنيفة لا أفارقه ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه إلى الأرض في ليلة منها قالوا : ولم يكن لأبي حنيفة فراش في الليل.

❖ وكان سفيان الثوري يقول: ما رأيت أعبد من أبي حنيفة ولا أزهد ولا أورع منه.

❖ وكان الفضيل بن عياض يقول: بلغنا أن الله تعالى يقول : حين يتجلى من الليل أين المدّعون لمحبتي في النهار أليس كل محب يحب الخلوة مع حبيبه فها أنا الآن مطّلع على أحبابي يكلموني على الحضور ويخاطبوني على المشاهدة . وغداً أقر أعينهم في جنتي .

❖ وكان المغيرة بن حبيب يقول : رَمقتْ عينايَ ليلةً مالك بن دينار وقد انتصب بين يدي الله تعالى من العشاء قابضاً على لحيته فما زال يبكي ويقـول: يـا رب ارحم شيبة مالك إلى أن طلع الفجر . قال: ورمقـت عبـد الواحـد بـن زيـد شهراً فرأيته لا ينام من الليل شيئاً وكان يقول لأهل الدار كل ساعة مـضت من الليل يا أهل الدار انتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود.

❖ وكان صهيب العابد رقيقاً لامرأة بالبصرة وكان يقوم الليل كلـه فقالـت لـه سيدته يوماً إن طول القيام بالليل يضرك بخدمتك في النهار فقال لها ما أصنع إذا ذكرت جهنم طار نومي.

❖ وكان أزهر بن مغيث رضي الله عنه يقول رأيت ليلة حوراء من أجمل النـساء فقلت لها لمن أنت ؟ فقالت لمن يقوم الليل في ليالي الشتاء.

❖ وكان العلاء بن زياد يقوم الليل كله فقالت له امرأته ألا تستريح لـك لحظـة فأطاعها فأتاه آت في المنام وأخذ بمقدم شـعر رأسـه وقـال قـم فـصل ولا تضع حظك من عبادة ربك فقام فوجـد تلـك الـشعرات واقفـة فلـم تـزل واقفة حتى مات.

❖ ونام إبراهيم بن آدهم ليلة في بيت المقـدس فَـسَمِعَ صـوتاً جانـب الـصخرة يقول : قيام الليل يطفي لهب النار ويثبت الأقدام على الصراط فـلا تتـساهل في قيام الليل فما تركه بعد ذلك حتى مات.

❖ وقال الحبيب عبدالله بن علوي الحداد في النصائح: واعلم أن قيام الليل من أثقل شيء على النفس ولاسيما بعد النوم وإنما يصير خفيفاً بالاعتياد والمداومة والصبر على المشقة والمجاهدة في أول الأمر ثم بعد ذلك ينفتح باب الأنس بالله تعالى وحلاوة المناجاة له ولذة الخلوة بالله عز وجل وعند ذلك لا يشبع الإنسان من القيام فضلاً عن أن يستثقله أو يكسل عنه كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم: ((إن كان أهل الجنة في مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفي عيش طيب)) وقال آخر ((منذُ أربعين سنة ما غمني شيء إلا طلوع الفجر)) وقال آخر: ((أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم)) وقال آخر: ((لولا قيام الليل وملاقاة الإخوان في الله ما أحببنا البقاء في الدنيا)) وأخبارهم كثيرة مشهودة وقد صلى خلائق منهم الفجر بوضوء العشاء رضي الله عنهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[1] فعليك رحمك الله بقيام الليل والمحافظة عليه والاستكثار منه. أهـ

❖ وقال بعض الخواص أن قلب القرآن سورة يس وقلب الليالي وقت السحر ووقت التجليات الإلهية، وقلب الإنسان معلوم، فمن قرأ سورة يس وقت

---

(١) سورة الأنعام (آية ٩٠).

السحر في صلاة وغيرها فيجتمع ثلاث قلوب في زمان واحد فيستجيب الله دعاؤه ولذا كان بعض المشائخ يأمر المريدين في أثناء خلوتهم بقراءة سورة يس وقت الأسحار. وسئل الحسن البصري قدس سره فقيل يا أبا سعيد ما بال المتهجدين بالليل أحسن الناس وجهاً، قال لأنهم خلوا بالله فألبسهم حلة من نوره.

- و قال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت أتحسن تقرأ . قلت نعم فدفعت إلي الورقة فإذا فيها :

ألهتك اللذائذ والأماني	عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها	وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك أن خيراً	من النوم التهجد بالقرآن

- وقيل حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجداً. ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت لها من أنت ، قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبي إلى سيدي وأمهرني فقلت وما مهرك قالت طول التهجد. وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول : وعزتي وجلالي لأكرمّن مثوى سليمان التيمي فإنه صلى لي الغادة بوضوء العشاء أربعين سنة ويقال كان مذهبه أن النوم إذا

خامر القلب بطل الوضوء. وروى في الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال : إن عبدي الذي هو عندي حقاً الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك.

❖ وقال الثوري : حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل وما ذلك الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي هذا مراءٍ. وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت أتاك نعي أهلك. قال أشد ، قلت وجع يؤلمك قال أشد. قلت: فما ذلك، قال: بابي مُغلق ، وستري مسبل، ولم أقرا حزبي البارحة، وما ذلك إلا بذنب أذنبته.

❖ فالذنوب تورث القسوة في القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها وتعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع لها ولذلك قال بعضهم كم من أكله منعت قيام ليلة، وكم من نظره منعت قراءة سورة وأن العبد ليأكل أكله أو يفعل فعله فيحرم بها قيام الليل سنة وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات .

❖ قال ذو النون المصري :

منع القرآن بوعده ووعيده	مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه	فرقابهم ذلت إليه تخضعا

❖ وأنشدوا أيضاً :

يا طويل الرقاد والغفلات	كثرة النوم تورث الحسرات
إن في القبر إن نزلت إليه	لرقادٌ يطول بعد الممات
ومهاداً ممهداً لك فيه	بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك الموت	وكم نال آمناً ببيات

❖ وقال ابن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابَدوه	فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقالوا	وأهل الأمن في الدنيا هجوع

❖ وحكي أن بعض الصالحين رجع من غزوة فمهدت امرأته له فراشاً وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى الصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح قال والله إني كنت أفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول الليل شوقاً إليها .

❖ وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي وإذا طلعت حزنت لدخول الناس عليّ.

❖ وقال الفضيل أيضاً : إذا رأيت الليل مقبلاً فرحب به وقلت أخلوا بربي وإذا رأيت الصبح أدركني استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي.

❖ قال أبو سليمان لو عوّض أهل الليل من أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم. وقال ابن المنكدر ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة.

❖ وقال بعضهم إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين. وقال بعضهم (من العلماء القدماء) إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصادقين إن لي عباداً من عبادي أحبهم ويحبونني ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكرهم وينظرون لي وأنظر إليهم فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يا رب وما علامتهم ؟ قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إليّ أقدامهم وافترشوا إلي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلي بإنعامي فبين صارخ وباكي وبين متأوّه وشاكي بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم أقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما أخبر عنهم .

والثانية : لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما من موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالثة: أقبل بوجهي عليهم أَفَترى من أقبلتُ بوجهي عليه أيعلم أحدٌ ما أريد أن أعطيه.

❖ وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال : أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطي القلوب النائمة فتعرّض لتلك النفحات فقال : يا سيدي تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار .

(واعلم) أن هذه النفحات بالليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياها) وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة حاصل، وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة .

❖ وكان سيدي إبراهيم الدسوقي يقول: كيف يدعي المريد الصادق محبة الله وهو ينام وقت الغنائم وقت فتح الخزائن ووقت نشر العلوم وإظهار المكتوم .

وكان يقول : ومن شأنه أي المريد أن يقلل من النوم ما أمكن لا سيما وقت

الأسحار لأن النوم لا فائدة فيه دنيوية ولا دينية بالأصالة وإنما كثرته خسران لأنه أخو الموت .

❖ وقال سيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس: ((من أراد الصفاء الرباني فعليه بالانكسار في جوف الليل)).

❖ وقال الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجويني: جمع الخير كله في الليل وما عقدت لولي ولاية قط إلا بليل .

❖ وقال سيدي أبوبكر بن عبدالله العيدروس العدني في هذا المعنى شعراً :

ما الليلة القدر التي عظمت   أو جنة الفردوس إذ هي زخرفت
في جنب صفوا أهل اليقين إذا انجلت   عنهم حجابات البعاد البينة
وصحت الرؤية لهم والأمنية

❖ وقال الإمام الحبيب عبدالله الحداد في وصف أهل الليل :

قوم إذا أرخى الظلام ستوره   لم تلفهم رهن الوطا والمضجع
بل تلقهم عمد المحارب قوّماً   لله أكرم بالسجود الركع
يتلون آيات القرآن تدبراً   فيه لا كالغافل المتوزع

❖ ثم اعلم أن للعلماء أقوالاً في صلاة التهجد :

(الأول) أنه مندوب .

(الثاني) أنه حتم .

(الثالث) أنه فرض على النبي صلى الله عليه وسلم وحده وذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الحسن البصري وابن سيرين صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو قدر حلب شاة لقوله تعالى: ((فأقرءوا ما تيسر منه)) الآية كذا في العيني.

❖ **ثم اعلم أن لقيام الليل خمسة مراتب :**

الأولى: إحياء كل ليلة أي إحياء كل الليل وهذا شأن الأولياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غداءً لهم وقد كان طريق جماعة من السلف التابعين منهم : أبو حنيفة وسعد بن المسيب والفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني ومالك بن دينار وربيع بن خيثم وغيرهم كلهم كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء .

الثانية: أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول .

الثالثة: أن يقوم ثلثي الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسدس الأخير . وبالجملة نوم آخر الليل مستحب لأنه يذهب النعاس بالغداة ويقلل صفرة الوجه، وكان هذا الوقت سبب للمكاشفة .

الرابعة: أن لا يراعي التقدير وكان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي طريقة ابن عمر وأولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين وكانوا يقومون من أول الليل إلى أن يغلبهم النوم وينامون فإذا انتبهوا قاموا فإذا غلبهم النوم ناموا فيكون لهم من الليل نومتان وقومتان.

الخامسة: وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين فيجلس مستقبل القبلة بساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوّام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الأثر ((صل من الليل ولو قدر حلب شاه)).

الأسباب الميسرة لقيام الليل :

وهي أربعة ظاهره وأربعة باطنة :

(فالأسباب الظاهرة)

(أحدها) أن لا يكثر الأكل والشرب فبكثرة الأكل والشرب يغلبه النوم ويثقل عليه القيام .

(الثاني) أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم .

(الثالث) أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنة للاستعانة على القيام بالليل .

(الرابع) أن لايرتكب الأوزار بالنهار فإن ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة .

(والأسباب الباطنة)

(أولها) سلامة القلب من الحقد على أحد من المسلمين، والسلامة من البدع، ومن فضول هموم الدنيا.. فالمستغرق في الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه وفي مثله يقال وأنت إذا استيقظت فنائم أيضاً .

(الثاني) خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودرجات جهنم طار نومه كما قال طاووس إن ذكر جهنم طير نوم العابدين.

(الثالث) أن يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات والأحاديث التي أوردناها حتى يستحكم بذلك رجاؤه وشوقه إلى ثوابه .

(الرابع) وهو أشرف البواعث حب الله فإذا أحب الله تعالى حب الخلوة به لا محالة وتلذذ بالمناجاة بالحبيب في الخلوات كذا في الإحياء .

❖ ومن الأسباب التي تساعد على قيام الليل وتوقظك ساعة الإجابة هذا الدعاء المأثور: ((اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسينا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا.

❖ وكذلك آخر سورة الكهف ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1] . وكذلك مما يساعد على النشاط آخر الليل بل وفي يومك كله : (سبحان الله) ثلاثاً وثلاثين ، (الحمد لله) ثلاثا وثلاثين ، (الله أكبر) أربعاً وثلاثين .

❖ **وأخيراً فيا أخي المسلم عليك بقيام الليل وأن عجزت عن الكثير فلا تعجز عن القليل والله الموفق والمعين.**

---

(١) سورة الكهف (آية ١٠٧-١١٠).

ومن خواص الليل ما يلي :

(تقدمه في الذكر على النهار)

❖ من خواص الليل أيضاً أنه قد تقدم ذكره على النهار في جميع الآيات القرآنية إلا في آيتين في سورتي هود والشمس وهن : الأولى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ[1] ﴾ والثانية: قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ ﴾[2] . ، وما تقدم ذكره يفضل على المتأخر كما هو معلوم عندهم إن لم يدل دليل على التأخر وهنا لا يوجد دليل .

(الإسراء و المعراج)

من خواص الليل أيضاً وقوع الإسراء والمعراج فيه وهما من أعظم المعجزات لنبينا صلى الله عليه وسلم وليلتهما أفضل ليلة وأحبها له صلى الله عليه وسلم إذ شرفه الله تعالى بأشياء كثيرة ومعجزات عظيمة وتجليات فخيمة لم تقع لنبي قبله . فصلى بالنبيين إماماً في بيت المقدس قال تعالى ﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ

---

(١) سورة هود (آية ١١٤).

(٢) سورة الشمس (آية ١-٤).

رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾[1] وقال عز وجل ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[2].

وقصة الإسراء والمعراج مشهورة وفي كتب السير مسطورة .

(أفضل ليلة ليلة القدر)

من خصائص الليل أيضاً أن فيه أفضل ليلة وهي ليلة القدر من شهر رمضان الكريم فإنها أفضل الليالي وأسعدها لمن أدركها وأحياها بالعبادة والتلاوة وهي مجهولة في العشر الأواخر ، فينبغي للإنسان أن يجتهد فيها بالعبادة بل وفي رمضان كله قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾[3].

والألف شهر يعادل ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر فيا له من فخر لليل على النهار .

---

(١) سورة النجم (آية ١٨).

(٢) سورة الإسراء (آية ١).

(٣) سورة القدر.

(نزول القرآن)

ومن خصائصه أيضاً أنه نزل فيه القرآن قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[1]. وكتاب الله مبارك والليلة مباركة ، وأيضاً نزل به الروح وهو جبريل في هذه الليلة .

(بروز المصطفى صلى الله عليه وسلم)

ومن خصائصه بل من أعظم الخصائص بروز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى عالم الدنيا قبل طلوع الفجر .

(خروجه صلى الله عليه وسلم مهاجراً)

ومن خصائصه أيضاً خروجه صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى المدينة فيه والكفار نياماً تحت بيته وقد حث على رؤوسهم التراب وهم لا يشعرون .

(ذكره في مواضع كثيرة من القرآن)

ومن خصائصه أيضاً أنه تكرر في القرآن ٨٠ ثمانين مرة . بينما النهار ذكر في ٤٧ سبعة وأربعين موضعاً فقط . وذكرت كلمة ليال ٤ مرات وليلة ٨ مرات .

(١) سورة الدخان (آية ٣).

(سميت سورة باسمه)

ومن خصائصه أنه اختص بسورة خاصة به وأقسم الله به فيها بقوله تعالى ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (١) وليس في القرآن سورة مختصة بالنهار وهذا مما يدل على شرف الليل.

(ليالي عشر الحجة)

ومن خصائصه أيضاً أن به ليالي عشر الحجة وقد أقسم الله بها في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ ﴾ (٢)

(الصلوات الليلية)

ومن خصائصه أيضاً أن هناك صلوات أختص بها الليل دون النهار ، منها :

١) صلاة الأوابين.

٢) صلاة التهجد.

٣) صلاة الوتر.

٤) صلاة التراويح.

٥) وإن ركعتين في الليل خير من الدنيا وما فيها.

---

(١) سورة الليل (آية ١).

(٢) سورة الفجر (آية ١-٢).

(الصلاة فرضت ليلاً)

ومن خصائصه أن الصلاة فرضت ليلاً في السماء لعظم أهميتها .

(قبول الدعاء أقرب ما يكون بالليل)

ومن خصائصه أيضاً أن الدعاء أقرب ما يكون للإجابة في الليل أكثر منه في النهار بل ووقت السحر بالخصوص أقرب من غيره. وأكثر العلماء الفحول كان جل مطالعاتهم وقراءاتهم في الليل حتى أن منهم من احترقت له ١٣ عمامة أثناء استغراقه في المطالعة على مسرجةٍ بالليل .

(إحياء الليل)

ومن خصائصه أيضاً أن فيه لياليا يسن إحياؤها منها ليلة النصف من شعبان وقد ورد فيها فضل كبير قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ ﴾[1] ومن عادة مسجد الإمام السقاف إحياء هذه الليلة في تريم دون المساجد الأخرى ومنها : ليلة العيدين وليلة عاشوراء وليلة التروية وليلة أول يوم من رجب وهي التي لا يرد فيها الدعاء وفي هذه الليلة تقام حضرة الإمام السقاف في المسجد المسمى (سُوَيّه) بمدينة تريم.

(١) سورة الدخان (آية ٤).

(صفاء الذهن)

ومن خصائصه أنه يـصفو فيـه الـذهن، ويهـدأ مـن ضوضـاء النهـار و إزعاجه .

(ظهور النجوم)

ومن خصائصه أيضاً ظهور النجوم للاهتداء بها كما قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[1] الآية .

(أوصاف العباد)

ومن خصائصه أن الله وصف عباده المخلصين المتقين بقولـه ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[2] الآية ، وبقوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

(١) سورة الأنعام (آية ٩٧).

(٢) سورة الزمر (آية ٩).

(٣) سورة الفرقان (آية ٦٤).

(انشقاق القمر)

ومن خصائصه أيضاً أن انشقاق القمر من المعجزات الليلية بل من أكبر المعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرها الله في القرآن الكريم بقوله ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾[1].

(موسى وستار الليل)

ومن خصائصه أيضاً أن نبي الله موسى عليه السلام سار بأهله وكلمّه مولاه على جبل طور تحت ستار الليل. قال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾[2].

(ذو النون والظلمات)

ومن خصائصه أيضاً أن ذا النون الذي قال الله فيه سبحانه وتعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ

---

(١) سورة القمر (آية ١).

(٢) سورة طه (آية ٩-١٢).

إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1] وكأن الظلمات ثلاث: ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل .

(طي المسافة)

ومن خصائصه أن المسافة للماشي ليلاً تطوى وسرعة المشي للمسافر فيه أسرع منه في النهار . كما جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم : ((عليكم بالدلجه فإن الليل تطوى فيه الطريق)) أو ما معناه

(نزول رحمة الله)

ومن خصائصه أيضاً نزول رحمة الله إلى سماء الدنيا كل ليلة كما جاء في الأحاديث التالية :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ينزل ربنا تبارك اسمه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له)).

وعن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله ينزل في ثلاث ساعات يبقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى منها يرى الذكر الذي لم يره أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ، ثم ينزل في الساعة الثانية

---

(١) سورة الأنبياء (آية ٨٧).

إلى جنة عدن وهي داره التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر، ثم يقول: طوبى لمن دخلك، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته فتنقض فيقول: قومي بعزتي. ثم يطلع إلى عباده فيقول: هل من مستغفر فأغفر له، وهل من داعي أجيبه؟ حتى تكون صلاة الفجر.

(الاستغفار في وقت السحر)

ومن خصائصه أنه اختص بوقت السحر ، فمدح الله المستغفرين فيه بقوله تعالى : ((والمستغفرين بالأسحار)) . وعن سفيان رضي الله عنه : بلغنا أنه إذا كان أول الليل نادى منادٍ : ألا فليقم العابدون . قال : فيقومون فيصلون ما شاء الله . ثم ينادي ذاك أو غيره في وسط الليل : ألا ليقم القانتون ؟ قال : فيقومون كذلك يصلون إلى السحر . قال فإذا كان السحر نادى منادٍ : أين المستغفرين ؟ قال : فيستغفر أولئك ، ويقوم آخرون يسبحون يعني يصلون . قال: فيلحقونهم فإذا طلع الفجر وأسفر نادى منادٍ : ألا ليقم الغافلون ؟ قال : فيقومون من فرشهم كالموتى نشروا من قبورهم .

❖ وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في السحر سبعين مرة

❖ وعن عبدالله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب .

❖ وقال رجاء بن مسلم العبدي : كنا مع عجردة العميه في الدار فكانت تحيي الليل صلاة . قال ربما تقوم من أول الليل إلى السحر ، فإذا كان السحر نادت بصوت محزون ، إليك قطع العابدون دجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك . فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترفعني إليك في درجة المقربين ، وأن تلحقني بعبادك الصالحين . فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء وأعظم العظماء . ياكريم . قال : ثم تخر ساجدة نسمع وثبة سقطتها فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر . وكان ذلك دأبها ثلاثين سنة رحمها الله .

(تأثير الليل في العلم والصلاح والولاية)

من خصائص الليل المرتبطة بالعلماء والصلحاء والأولياء .. إنك لو سألت عن الكثير من علماء الدين والصلحاء وعن سر نجاحهم ورقيهم في العلم والصلاح والولاية .. لعرفت أنه الليل .

حتى قال قائلهم :- لولا الليل ما أحببنا البقاء في الدنيا – وقال آخر : إذا كان أهل الجنة على ما نحن فيه أنهم لفي عيش طيب وقال : كثير من العارفين بالله: إنها ما تعقد ولاية لولي إلا بقيام الليل .

كما أن لليل تأثير على قوامه ، أي أنه إذا اعتاد الرجل قيام الليل نبّه لذلك .

❖ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إذا نام الرجل وهو يريد القيام من الليل أيقظه إما سنور وإما صبي وإما شيء فيستيقظ فيفتح عينيه وقد وكل به قرينان ، قرين سوء وقرين صالح ، فيقول قرين السوء : أفتح بشرٍ نم إن عليك ليلاً طويلا ما تسمع صوتاً ولا قيام أحد . فإن نام حتى يصبح أتاه الشيطان فبال في أذنه فأصبح ثقيلاً كسلاناً خبيث النفس مغبوناً . ويقول الملك : أفتح بخير قم فأذكر ربك وصل .. فإن قام فتوضأ ثم دخل المسجد فذكر الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فإذا فرغ من صلاته استقبله الملك فقبله ثم يصبح طيب النفس قد أصاب خيراً .

❖ وكان رجل من العباد قلَّ ما ينام من الليل فغلبته عينه ذات ليلة فنام عن جزءه فرأى فيما يرى النائم جارية وقفت عليه كأن وجهها القمر ومعها رق فيه مكتوب شعراً :

ألهتك لذة نومة عن خير عيش	مع الخيرات في غرف الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيه	وتنعم في الجنان مع الحسان

تـــيقظ مـــن منامـــك إن خـــيراً　　　مـــن النـــوم التهجـــد بـــالقرآن

قال : فو الله ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم .

❖ وقال زياد النميري رحمه الله تعالى : أتاني آت في منامي فقال : قم يـا زيـاد إلى عبادتك من التهجد وحظك من قيام الليل ، فهـو والله خـير لـك مـن نومـة توهن بدنك وينكسر لها قلبك فاستيقظت فزعـاًثم غلبنـي النـوم . فأتـاني ، فقال : قم يا زياد فلا خير في الدنيا إلا للعابدين فوثبت فزعاً .

❖ وقال أزهر بن ثابت التغلبي : كان أبي من القوامين لله في سواد الليل ، وقال رأيت في منامي امرأة لا تشبه نساء الدنيا ، فقلت : من أنتِ ؟ قالت : حوراء أمة الله . قلت : زوجيني نفسك . قالت : أخطبني إلي سيدي وأمهرني . قلت وما مهرك ؟ قالت : طول التهجد .

❖ وعن رابعة العدوية العابـدة رحمهـا الله تعـالى: اعتللـت علـة قطعتنـي عـن التهجد وقيام الليل ثم رزقني الله العافية فأعادتني فترة عقب العلة فبينا ذات ليلة راقدة رأيت جارية فأدخلتني قصراً فتلقانا فيه وصفاء بأيديهم المجـامر. قالت أفلا تجمروا هذه المرأة ؟ قالوا : قد كان لهـا في ذلـك حـظ فتركتـه ثـم أقبلت عليّ وقالت :

صـــلاتك نـــور والعبـــادة رقـــود　　　ونومـــك ضـــد الـــصلاة عنيـــد

وعمـــرك غـــنم إن عقلـــت ومهلـــة　　　يـــسير ويفنـــى دائبـــاً ويبيـــد

قالت : فما ذكرتها إلا طاش عقلي وأنكرت نفسي وما نامت رابعه رحمها الله تعالى بعد هذه الرؤيا بليل حتى ماتت .

❖ وقال آخر : نمت ليلة عن جزئي فأريت في منامي قائلاً يقول لي :

عجبت من جسم ومن صحة ومن فتى نام إلى الفجر

فالموت لا تؤمن خطفاته في ظلم الليل إذا يسري

من بين نقول إلى حفرة يفترش الأعمال في القبر

وبين مأخوذ على غرة بات طويل الكبر والفخر

قال : فما نسيتها بعد .

(خواص أخرى لليل)

❖ ومن خواص الليل التي يؤكدها الصيادون المرتبطون بالبحر وصيده ... أن أحسن اصطياد لأسماك البحر يكون في وقت الليل ، لأنها في هذا الوقت يكون تواجدها بكثرة وبالتالي يمكن أن يتم اصطياد أجودها وأفضلها .

❖ وقد اكتشف علماء الطبيعة أن غاز الأوزون ينطلق بكميات كبيرة في الفضاء الخارجي للأرض في وقت السحر .. حيث يعطي لجسم الإنسان المتعرض له بصورة حيوية نشاط يؤثر على نشاطه طيلة اليوم ، وبالنسبة للإنسان النائم يلبسه المزيد من الكسل والخمول والتعب .

❖ ومن خواص الليل أن الصلوات الجهرية بالليل ، وعكسها السرية تكون بالنهار .

❖ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى في النهار وهي خاصية من خواصه صلى الله عليه وسلم وتعد أيضاً من خواص الليل.

❖ ومن خواص الليل أيضاً صراخ الديكه في السحر في وقت معين مضبوط، طال الليل أو قصر.

❖ ومن اختصاصات الليل أيضاً البعوض إذ أنه لا يحس بلدغه إلا في الليل . وروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من الماء وأقرأ عليه ، ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢ ﴾[1] سبع مرات وقل: ((إن كنتم آمنتم بالله واليوم الآخر فكفوا شركم وأذاكم عنا ، ثم ترش الماء حول فراشك فإنك تبيت الليلة آمناً من شرها)) فهو يعد من اختصاصات الليل - أي البعوض - وأنا أعطيك دواءه مجّاناً.

---

(١) سورة إبراهيم (آية ١٢).

وفي مثل هذا يلزم حسن النية وصدقها وإخلاص القلب وحسن الظن وصدق القصد.

- وقد جعله الله يلدغ في الليل ليوقظ النائم ليقوم الليل ويطرد النوم منه.
- وخُصَّ الليل بالنوم ، والفارق كبير بين نوم الليل ونوم النهار . في فائدته أن نوم ساعة من أول الليل أفضل وأنفع من نوم ساعتين بالنهار ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝ ﴾[1].
- ومن اختصاصات الليل أن غدة في الإنسان لا تفرز إلا في ظلام الليل.

(أوقات الليل التي يستحب قيامها ويرجى إجابة الدعاء فيها)

- سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي صلاة الليل أفضل : فقال : نصف الليل أو جوف الليل وقليل فاعله .
- وعن أبي أمامة الباهلي قال : حدثني عمرو بن عبسه قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكه فقال لي : إن أقرب ما يكون الرب من العبد جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فافعل. وفي لفظ : قال : جوف الليل الآخر أجوبة الدعوة .

(١) سورة النبأ (آية ١٠-١١).

❖ وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الساعات أفضل ؟ فقال : جوف الليل الأوسط . قيل ومن يطيق ذاك ؟ قال : من خاف أدلج .

❖ وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه وذلك في كل ليلة)) أخرجه مسلم .

❖ وسئلت عائشة رضي الله عنها ، عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل. فقالت : كان يرقد أول الليل ويقوم آخره .

❖ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لركعتين يركعهما ابن آدم في جوف الليل الآخر ، خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتها عليهم)).

❖ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه .

❖ أما ما يفتتح به قيام الليل من الذكر والدعاء فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا قام من الليل كبر ، ثم قال : ((اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ، ولك الحمد وأنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت حق ، وقولك حق ، ووعدك حق ، ولقائك حق ، والجنة حق ، والنار

حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسـلمت وبـك آمنـت ، وعليـك توكلـت ، وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت أنت ربنا وإليك المصير . رب اغفر لي ما أسـررت وما أعلنت ومـا قدمـت وما أخـرت . أنـت الله لا إلـه إلا أنت)) .

❖ سئلت عائشة رضي الله عنها : بم كان يفتح رسول الله صلى الله عليه وسـلم الصلاة من الليل ؟ قالت : كـان يقـول : ((اللهـم رب جبرائيـل وميكائيـل واسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بـين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، أهدني لما اختلفت فيه من الحـق بإذنـك إنـك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) .

❖ كما سئلت عائشة رضي الله عنها : ما كان رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم يقول إذا قام من الليل يصلي وبم كان يـستفتح ؟ قالـت : كـان يكـبر عـشراً ويحمد عشراً ويسبح عشراً ويهلل عشراً ويـستغفر عـشراً ، ويقـول : اللهـم اغفر لي وأهدني وارزقني عشراً ، ويقول : اللهم إني أعوذ بك من ضـيق يـوم الحساب عشراً .

❖ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين .. فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: ((إذا قام أحدكم يصلي من الليل فليبدأ بركعتين خفيفتين)) .

❖ وهناك حث على أن يوقظ الرجل أهله ومن يليه والمرأة زوجها وذلك لقيام الليل .. فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل وصلت و أيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء)) .

(ما يعاقب به تارك قيام الليل)

❖ فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((على قافية رأس أحدكم بالليل حبل فيه ثلاث عقد . فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقده . فإذا قام فتوضأ انحلت عقده ، فإذا قام إلى الصلاة انحلت عقده كلها فيصبح نشيطاً طيب النفس فإذاً قد أصاب خيراً وإن لم يفعل أصبح كسلاناً خبيث النفس لم يصب خيراً)) .

وفي رواية :

❖ ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقده عليك ليل طويل فأرقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقده فإن توضأ انحلت عقده فإن صلى انحلت عقده فيصبح نشيطاً طيب النفس ، وإن لم يفعل أصبح خبيث النفس كسلاناً)).

❖ وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حسب الرجل من الخيبة ، أو من الشر أن ينام ليلة حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه فلم يذكر الله ليلة حتى يصبح .

❖ وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : من أصبح على غير وتر أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعاً .

(ثواب القراءة للقرآن بالليل)

❖ ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين، أو كتب من القانتين)) .

❖ وقد جاء في الأثر بأنه يتم نزول الملائكة والسكينة لحضور صلاة المصلي بالليل لاستماع القرآن الكريم .

❖ وعن أسيد بن حضير قال : بينا أنا أصلي ذات ليلة رأيت مثل القناديل نوراً تنزل من السماء فلما رأيت ذلك وقعت ساجداً . فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم . قال : فهلا مضيت يا أبا عثيك ؟ فقلت : ما استطعت يا نبي الله إذا رأيته أن وقعت ساجداً ، قال : أما أنك لو مضيت لرأيت العجائب ، كانت تلك الملائكة تنزلوا إلى القرآن .

❖ ويحكى عن سفيان الثوري رضي الله عنه أنه إذا جاء الليل كان يقول : هذه ليلتي التي أموت فيها فما ينام حتى يصبح .. وكان رضي الله عنه يلبس الثياب الرقاق في البرد حتى يمنعه البرد من النوم .

❖ وكان عبدالعزيز بن رواد رضي الله عنه : يأتي فراشه فيمر يده على فراشه ويقول : والله إنك لين وفراش الجنة ألين منك .. فيدرجه ويصلي الليل كله .

❖ وقال علي بن بكار (أحد الصالحين) لي منذ أربعين سنة ما أحزنني إلا طلوع الفجر .

❖ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : ((عليكم بقيام الليل فأنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد)) . (رواه أحمد وهو حديث صحيح)

(من فوائد قيام الليل)

❖ وقال المناوي : وفي قيام الليل: أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة وينور القلب ويحسن الوجه ويذهب الكسل وينشط البدن وترى الملائكة موضعه من السماء كما ترى الكوكب الدري.

❖ وقد ورد في الخبر أن الله يباهي الملائكة بقوام الليل بالظلام يقول : أنظروا إلى عبادي قد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم أحد غيري أشهدكم أني أبحتهم دار كرامتي.

❖ وقال أبو ذر رضي الله عنه : يستبشر الله تعالى بمن قام من الليل وترك فراشه ثم توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قام إلى الصلاة فيقول الله تعالى ((ما حمل عبدي على ما صنع ؟ فيقولون رجيته شيئاً فرجاه وخوفته شيئاً فخافه فيقول: أشهدكم أني آمنته مما يخاف وأوجبت له ما رجاه)) .

❖ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صلى في الليل وأحسن الصلاة أكرمه الله بتسعة أشياء ، خمسة في الدنيا وأربعة في الآخرة ، أما التي في الدنيا :

أولها : يحفظ من آفات الدنيا.

الثاني : يظهر أثرها في وجهه.

الثالث : يحببه إلى قلوب الصالحين وإلى الناس أجمعين .

الرابع : يزلق لسانه ويطلقه في الحكمة.

الخامس : يجعله حكيماً.

وأما الأربعة التي في العقبى :

أولها : يحشره يوم القيامة من القبر مبيض الوجه.

الثاني : ييسر عليه الحساب.

الثالث : يمر على الصراط كالبراق الخاطف.

الرابع : يعطى كتابه بيمينه .

ويقال إن المتهجد يشفع في أهل بيته .

❖ وقال بعضهم : في الليل تجم الأذهان وتنقطع الأشغال ويصح النظر وتؤلف الحكمة ، وتدر الخواطر ، ويتسع مجال القلب ، والليل أضوء في مذاهب الفكرة ، وأخفى لعمل البر ، وأعون على صدقة السر ، وأصح لتلاوة الذكر ، وأرباب الأمر يختارون الليل على النهار لرياضة التدبير، وسياسة التقدير في دفع الملم ، وإمضاء المهم، وإنشاء الكتب، ونظم الشعر وتصحيح المعاني، وتقويم المباني، وإظهار الحجج، وإيضاح المنهج، وإصابة نظم الكلام وتقريبه من الإفهام ، في الليل تتزاور الأحباب وتتهنأ بالشراب ، وتكمل الإطراب ، وتغيب الرقاب ، وتغلق في أوجه الأضداد الأبواب ، ولا يمكن فعل شيء من ذلك كله في النهار ، ولا سجلاب إلا ظنه بالاستتار،

❖ وقد قال العلامة السحيمي : ويحصل فضل قيام الليل بصلاة ركعتين لخبر ((من قام من الليل قدر حلب شاة كُتب من قوام الليل)).

❖ ويكره تركه لمعتاد بلا ضرورة لقوله صلى الله عليه وسلم: لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: يا عبدالله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه.

❖ وكان بعض الصالحين رضي الله تعالى عنهم يقوم الليل فنام ليلة فقيل له: ((قم فصل أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل فهم خزانها))

❖ وكما عرفت أن لآخر الليل والقيام بالأسحار فضل عظيم، فكذلك أول الليل وردت فيه أخبار وآثار بإحياء ما بين المغرب والعشاء حتى قيل في

تفسير آية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾[1] هو ما بين المغرب والعشاء .

- ❖ وقال سيدنا عبدالله العيدروس في إحياء هذا الوقت: ((الكنوز كل الكنوز في إحياء ما بين المغرب والعشاء)) .
- ❖ وعليه عمل أهل تريم في جميع مساجدها فمن بعد صلاة المغرب يشتغلون بقراءة القرآن وحلقات التعليم . والفضل يعود إلى الشيخ سالم بافضل حيث رتب الحزوب المعتادة الآن في المساجد فيبدؤون من ليلة الجمعة من سورة البقرة إلى آل عمران هذا أول الليل وأخر الليل من آل عمران إلى المائدة ، وليلة السبت أول الليل من المائدة إلى الأعراف وآخر الليل من الأعراف إلى يونس ، وليلة الأحد أول الليل من سورة يونس إلى الرعد وآخر الليل من الرعد .....
- ❖ ومما قيل في الليل للحبيب العلامة إبراهيم بن عمر بن عقيل نفع الله به :

فقم في ظلام الليل يا خاطب العلا   فرب العلا في الليل يغدقها هطلا
وشاهد جلال الله كيف أماتها   وأضفى عليها من ذيول الدجى السدلا

(١) سورة السجدة (آية ١٦).

(تسميات الليل والنهار)

الليل والنهار يسميان الملوين ، والجديدين ، والاجدين ، والعصرين ، والقرنين ، والبردين ، والابردين ، والخافقين ، والدائرين ، والحاذقين ، والخيطين وهما رنمتا الدهر وابناسبات .

ما قيل في الليل :

والحكماء يمدحون الليل والاشتغال فيه قال بعضهم لابنه : يا بني اجعل نظرك في العلم ليلاً فإن القلب في صدرك كالطير ينتشر بالنهار ويعود إلى وكره في الليل فهو في الليل ساكن ما ألقيت إليه من شيء إلا وعاه .

وكان ابن المغير لا يشرب إلا ليلاً ويقول : الليل أمتع لا يطرقك فيه خبر قاطع ، ولا شغل مانع ، والنهار برص لا يتم سرور ، ونظم ذلك كشاجم فقال :

أتخذ الليل حملٍ	ما حمل الليل ما حمل
آمن فيه طارقاً	يشغلني عن الشغل

كان يحيى بن خالد ولّى ابنه الفضل خراسان فبلغه عنه إقباله على القصف فكتب إليه: ((بلغني عنك إقبال القصف وإهمال لأمورك وقد يهفو ذو الفطنة ، ويزل الحليم ثم يرجع إلى ما هو أولى به حتى كأن دهره لم يعرفوه إلا

بذلك وقد كتبت إليك بأبيات إن أنت اخلفتها ولم تمتثلها هجرتك حولاً وعزلتك على سخط وكتب إليه :

أنصب نهاراً في طلب العلا	واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل دنا مقبلاً	وانحسرت فيه عيون الرقيب
فأخل مع الليل بما تشتهي	فإنما الليل نهار الأريب
كم فاتك تحسبه ناسكاً	يستقبل الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أثوابه	فبات في أمن وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة	يسعى بها كل عدو رقيب

قال فآلى أن لا يشرب نهاراً .

وكذلك آية خاصة بالليل دون النهار هي آية ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

ومن أعظم وأكبر الاختراعات والاكتشافات العلمية هي الكهرباء ونفعها وإضاءتها ليلاً فهي مختصه بالليل. وأقول أنه أكبر اكتشاف نفعه عام للمدن والقرى والطرق والمساجد والمصانع... الخ .

وكذلك هبوط درجة الحرارة وقت السحر ، ومعظم الناس وضعوا في البطون ليلاً ، والأحلام السَّحَرِية هي أصدق الأحلام .

---

(١) سورة يس (آية ٣٧).

وكان السلف رضي الله عنهم من أخلاقهم شدة اجتهادهم في العبادة ليلاً ونهاراً رجلاً ونساءً ومواظبتهم على قيام الليل لاسيما ليالي الشتاء وعدم رؤيتهم نفوسهم بذلك على أحد من النائمين وكانوا إذا جنهم الليل قاموا على أقدامهم و افترشوا وجوههم وجرت دموعهم على خدودهم حتى كان يظن الداخل لهم أن هذا من ماء الوضوء ولقد كانت ابنة جار منصور بن المعتمر تراه دائم القيام بالليل على سطح داره فكانت تظن أنه عمود لطول قيامه فلما مات فُقِد به ، فقالت لأهله ما صنع ذلك العمود الذي كان فوق سطحكم ؟ فقالوا قدم على ربه عز وجل ، فقالت كيف قالوا لم يكن في سطحنا عمود وإنما ذلك منصور كان يقوم طول الليل.

وكانت امرأة مسروق رحمهما الله تعالى تقول : والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً ولا يترك الصلاة .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : لولا ظمأ الهواجر وقيام الليل ما أحببت البقاء في هذه الدار .

وكان أويس القرني يحيي الليل كله بسجده . وكان عبدالله بن داود رحمه الله يقول: لقد أدركنا الناس وأحدهم إذا دخل عليه الليل ترك النوم جانباً فإذا بلغ الأربعين طوى فراش النوم إلى أن يموت .

وقيل أن ظلمة الليل أقدم من الضوء إذ خُلِق الليل قبل النهار قال تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].تفسير البغوي مجلد ١ ص ٤١ .

((لو صور العقل لأضاء معه الليل ، ولو صور الجهل لأظلم معه النهار)) .

وقال صلى الله عليه وسلم: ((شرف المؤمن ضالته بالليل وعزة استغنائه عما في أيدي الناس)) حديث صحيح رواه الخطيب في التاريخ ص ٧٧ .

كان العرب دائماً يلهجون بذكر الليل أكثر من النهار وهم يؤرخون بالليالي فيقولون مثلاً كان لسبع خلون من ربيع الأول ، وكانوا يكثرون من ذكر القمر بالليل ولم يكثروا من ذكر الشمس بالنهار ، ورعوا النجوم ليلاً وعرفوها وسموها بأسمائها وذكروا ليل العاشق ولم يذكروا النهار ومن قولهم في الليل:

يقولون طال الليل والليل لم يطل ولكن من يبكي من الشوق يسهر

وقال آخر :

إذا جن ليلي هام قلبي بذكركم أنوح كما ناح الحمام المطوق

وقال آخر :

اعذلني ما أحسن الليل مركباً وأحسن منه في الملمات راكبه

---

(١) سورة يس (آية ٣٧).

وقال آخر :

كم ليلة بت مطوياً على حرق   أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني

ووصفوا الحزن بالليل وقلّ أن وصفوه بالنهار. وكان العرب كلهم إذا قرأنا أقوالهم كانوا يعيشون بالليل أكثر مما يعيشون بالنهار .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى الثلث الأخير فيقول أنا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له)) . تفسير البغوي ج١ صـ٢١٩ .

وحكي عن الحسن أن لقمان قال لابنه ((يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك يصوّت بالأسحار وأنت نائم على فراشك)) .

ومن الأشعار في ذكر الليل وعن الليل :

رب ليلٍ كأنه الدهر طولا   قد تناهى فليس فيه مزيد

ذي نجوم كأنهن نجوم الشيب   ليستّ تغيب لكن تزيد

ومن اختصاصات الليل أن الشعراء مثلوا سواد الليل بالشاب وبياض النهار بالشيخوخة فمن قولهم :

والشيب ينهض في الشباب كأنه   ليل يصيح بجانبيه النهار

وهو للفرزدق وقد كنى بكلمة الشباب عن اسوداد الشعر ثم جعل اسوداد الشعر في مقام الليل وجعل الشمس الأبيض في مقام النهار . فكما أن الشيب أخذ يخالط الشعر الأبيض فكذلك النهار أخذ يخالط الليل .

ومن مطلع قصيدة للإمام الحداد :

يا زائري حين لا واش من البشر   والليل يخطر في برد من السحر

وفي وصف رجال الليل يقول الشاعر :

رجال في النهار ليوث غاب   ورهبان إذا جن الليالي
رجال في هواجرهم صيام   وصوت عويلهم في الليل عالي

اتهزأ بالدعاء وتزدريه   وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطيء ولكن   لها أمد وللأمد انقضاء

ومما ورد من الكتب عن الليل من كتاب معجم الموضوعات لعبدالله الحبشي صـ ٥٤٧

ومن كلام الإمام العدني في قصيدته أولها غزيل الرملة قال :

عجبت يا ليل ما أطولك   بالبعد ما أوحشك ما أكربك
فأنني قد شكوت لك   يا ليل من فعل كوكبك
يا نجم ماذا يحل لك   تعذب وتترك صويحبك
كواكب الليل أرفقي   وآنسي وحشة الغريب

وكان محمد ابن المنكدر رحمه الله تعالى يقول: أحب للإخوان أن يظهر أحدهم السمت الحسن بالليل فإنه أشرف من سمت النهار لأنه في النهار يراه الناس وفي الليل يكون لرب العالمين.

وقال القائل:

أنت بالصدق قد خبرت رجالاً ... قد أطالوا البكاء إذا الليل طالا
وملأت القلوب منهم بنور ... من نفيس اليقين يا من تعالا
وتوليتهم وكنت دليلاً ... وكسوت الجميع منهم جمالا
فإذا ما الظلام جنّ عليهم ... واصلوا بالكلال منهم كلالا
عفروا بالتراب منهم وجوهاً ... ذاك لله خشية وابتهالا
هجرت للمنام منهم عيون ... فاستطار المنام منهم فزالا
إنما لذة البكاء لمريد ... أسلم الأهل والديار وحالا

وكما قال القائل:

أخص الناس بالإيمان عبد ... خفيف الحاذ مسكنه القفار
له في الليل حظ من صلاة ... ومن صوم إذا طلع النهار
وقوت النفس يأتي في كفاف ... وكان له على ذاك اصطبار
وفيه عفةٌ وبه خمول ... إليه بالأصابع لا يشار
فذلك قد نجا من كل شر ... ولم تمسسه يوم البعث نار

ويقول القائل شعراً:

وليُ الله لا يأويــــه دار	ويكـره أن يكـون لـه عقـار
يفـر مـن القفـار إلى جبـال	فتبكـي حـين تفقـده القفـار
صـبوراً في قيـام الليـل جـداً	وصـوَّاماً إذا طلـع النهـار
يقـول لنفـسه جـدِّي وكـدِّي	فـما في خدمـة الـرحمن عـار
ينـاجي ربـه والـدمع جـار	إلهـي إن قلبـي مـستطار
إلهـي مـا منـائي منـك دار	مـن اليـاقوت تـسكنه الجـوار
ولا جنـات عـدنٍ يـا إلهـي	ولا شـجر يزينـه الـثمار
ولكـن وجهـك البـاقي منـائي	بـه فـامنن ففـي ذاك الفخـار

ومن كتاب (التذكير المصطفى) للحبيب عطاس بن عبدالله الحبشي:

واجعلوا لكم أيها الأولاد والإخوان حظاً وافراً من القيام بالأسحار في أوقات التنزل الإلهي المعنوي، وعظيم التجلي للإله الغفار. فقد روى سيدنا علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((إن الله ينزل كل ليلة جمعة من أول الليل إلى آخره إلى السماء الدنيا، وفي سائر الليالي في الثلث الأخير، فيأمر ملكاً ينادي: هل من سائل فأُعْطِيَهُ؟ هل من تائب فأتوبَ عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ يا طالب الخير أقبل ، ويا طالب الشر أقصر)).

ومن قصيدة سيدنا أبي بكر العدني في قيام الأسحار، قال:

نصبت لأهل المناجاة ... في حندس الليل أعلام

واستعذبوا السُّهد وأمسوا ... قيام إذ نام من نام

واستقبلتهم لطائفْ ... بهجاتِ فضلٍ وإكرام

من لذةٍ لا تكيَّفْ ... ولا تصوَّر بالأفهام

قد ذاقها من عناها ... وهام فيها الذي هام

واستوحش الخلق وأضحى ... في الفيافي والآكام

ولم يعرِّج على شيء ... سواه أو لام من لام

طابوا وفاز المخفون ... ونحن أرباب الآثام

نبني ونهدمْ بنانا ... ومنتهى أمرنا إهدام

بالسَّوف والسوف تسويف ... تمضي الليالي والأيام

أيامنا قد تقضَّتْ ... على التماني والأوهام

ومن كتاب الإمام الشعراني رضي الله عنه : (المختار من الأنوار في صحبة الأخيار يتحدث فيه عن قيام الليل قال:

ومن آدابهم: يفتتحون قيام الليل بركعتين خفيفتين يقرأون في الأولى بعد الفاتحة ((ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً)) ، وفي الثانية قوله تعالى : ((ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً)).

وقد حُبِّبَ لي أن أقول بقلبي ولساني بعد السلام : ياسيدي يارسول الله أستغفر لي ربك (ثلاث مرات أو أكثر) ، اللهم عملتُ سوءً وظلمتُ نفسي فاغفر لي ، صدقة من صدقاتك عليَّ ، يا أرحم الراحمين (ثلاث مرات أو أكثر).

واعلم أن الفقراء يكرهون النوم في الثلث الأخير من الليل أشد من كراهتهم للمعاصي الظاهرة.

وقال الإمام أبوبكر العدني رضي الله عنه:

صُبْحِ سالك لا تنفَّسْ   واجعل الليل كَليلتينِ
دِيْكُ اسكُتْ ليتك اخْرَسْ   لا تُفرِّقْ بين ألفَينِ

وقال الحبيب العلامة إبراهيم بن عقيل بن يحيى نفع الله به:

فقم في ظلام الليل يا خاطب العلا
فرب العلا في الليل يغدقها هطلا
وشاهد جلال الله كيف أماتها
وأضفى عليها من ذيول الدجى السُّدلا

قال القائل:

واغتنم ركعتين في ظلمة الليـ   ـل إذا كنت خالياً مستريحاً
وإذا همت باللغو في البا   طل فاجعل مكانه تسبيحاً
ولزوم السكون خير من النطـ   ـق وإن كنت في الكلام فصيحاً

ويقول أحد آل بن يحيى : ((ما أحببنا البقاء إلا لثلاثة أشياء : تعليم أولادنا والدعوة إلى الله وقيام الليل)).

وقال القائل :

واسجد بالليل حتى الصباح وأتلو من المحكم المنزل

وقال القائل :

إن الليالي للأنام مناهل تطوى وتبسط بينها الأعمار

فقصارهن مع الهموم طويلة وطوالهن مع السرور قصار

حكمة : ((ستة أشياء تزيد في العمر : الصدقة والدعاء وطاعة الله الوالدين وصلة الرحم وصلاة الليل والاستغفار قبل الفجر)).

وقال القائل:

من كان يسئم فالنجاح بعيد وعليه إدراك الفخار شديد

من لا يواصل ليله بنهاره طلباً لما يبغي فليس يسودُ

حكمة : قال الحسن البصري : ((نهارك ضيفك فأحسن إليه ، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك ، وكذلك ليلك)).

حكمة : قال صاحب المعارف واللطائف إبراهيم الخواص : ((دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين)).

حكمة : من كان الليل والنهار مطيته فهو يُسارُ به ولا يشعر.

وقال القائل:

وجوهٌ لو أن المدلجين[1] اعتشوا بها[2]

صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

وقال آخر :

لله قوم أخلصوا في حبه ... فاختارهم ورضي بهم خداما

قومٌ إذا جن الظلام عليهم ... أبصرت قوماً سجداً وقياماً

يتلذذون بذكره في ليلهم ... ويكابدون لدى النهار صياما

فينعمون عرائساً بعرائسٍ ... ويبوؤون من الجنان خياما

وتقر أعينهم بما أخفى لهم ... وسيسمعون من الجليل سلاما

وقال آخر :

حجبت عيني عن مرآك يا أملي ... فلو مننت على عيني بالنظر

حتى أقول لعيني عند رؤيتها ... هذا جزاء لطول الدمع والسهر

وقال آخر:

الليل لي ولأحبابي أحادثهم ... قد اصطفيتهمُ كي يسمعوا ويعوا

لهم قلوب بأسراري لها ملئت ... على ودادي وإرشادي لهم طبعوا

---

(١) المدلجين : الذين يسهرون بالليل.

(٢) اعتشوا بها : أي أناروا بها طريقهم.

سروا فما وهنوا عجزاً ولا ضعفوا ... وواصلوا حبل تقريبي فما انقطعوا

وقال الشيخ أحمد عز الدين الصياد :

يا نُومُ الليل في لذاته ... إن هذا النوم رهن بسهر

إن ذا الدهر سريع مكره ... إن علا حط وإن أوفى غدر

أوثق الناس به في أمنه ... خائف يقرع أبواب الحذر

وقال آخر:

فقمت أفرش خذي في الطريق له ... ذلاً وأسحب أجفاني على الأثر

قال مالك بن دينار رضي الله عنه : سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إليَّ الرقعة فإذا فيها:

أألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلداً لا موت فيها ... وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إنَّ خيراً ... من النوم التهجد بالقرآن

كتب كهمس بن المنهال إلى أخ له: ((إن الليل والنهار خزانتان من أودعهما شيئاً أدياه وأنهما يعملان فيك فاعمل فيهما أنت والسلام)) من كتاب تهذيب الأسرار.

سمع بعض الصالحين المؤذن في نصف الليل :

يــــا رجـــال الله جـــدوا رُبَّ داعٍ لا يُـــــــــــــردُّ

لا يقـــــوم الليــــــل إلا مــــن لـــه عـــزمٌ وجـــدُّ

لـــيس شيء لقيـــام اللـــــــيل للقـــــبر يعـــدُّ

فقال له الصالح زدني ، فقال:

قـــد مـــضى الليـــل وولى وحبيبـــي قـــد تجـــلى

فصاح الصالح وخر مغشياً عليه.

طرفة : تذاكر قومٌ قيام الليل وعندهم إعرابي فقالوا له: أتقوم الليل؟ قال: إي والله ، قالوا: ما تصنع؟ قال: أبول وأرجع أنام.

(تأثير الليل على النبات)

الليل له تأثير حتى على النبات فهي تحس به، فعندما يدخل الليل تبدأ النباتات بالتخلص من نفاياتها لترتاح فتطرح غاز ثاني أكسيد الكربون وتتخلص منه لتأخذ بمقابله غاز الأكسجين بينما العكس نهاراً.

فتفكر في أن الليل له تأثير حتى على النباتات ولهذا ينصح الإنسان بعدم المبيت ليلاً في الحدائق وغيرها من الأماكن التي تكثف فيها الأشجار نتيجة لقلة غاز الأكسجين.

(مسك الختام)

ختاماً فمطلوب من المسلم أن يـصلي مـن الليـل قـدر طاقتـه مـا شـاء ، بعـد أن يستيقظ من نومه ليلاً وأن يحافظ على ذلك وأن يستكثر في قيامه من قراءة القـرآن الكريم ، وليقتد في ذلك بسلفنا الصالحين . .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

انتهى ...

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة